العلم فى خدمة المجتمع

لحضرة صاحب المعالى الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

"خص حضرة صاحب المعالى الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا وزير الشؤون الاجتماعية هذه المحاضرة العلمية القيمة ليفتتح بها الموسم الثقافى للاتحاد العلمى فى كليـة العلوم"

المحرر

سـادتى :

أحييكم أطيب تحية ، مقرونة بالشكر (لاتحادكم العلمى) الموقر،اذ دعانى لافتتاح موسمه الثقافى بمحاضرة اليوم . وما كان لى الا أن أجيب الدعوة مغتبطا باجتماعى بكم معشر أساتذة العلم وشبابه وأشباله ، فانكم لتنهجون فى دراستكم نهج المجاهدين الصادقين،تدرسون وتبحثون وتنقبون عن الحقيقة لذاتها ولذتها ، لاتشبعون ولا تقنعون ، وتعيشون فى جو من الصـدق والحق، لا تموهون ولا تكابرون ، اذ لاقول لكم الا سبقه عمل؛ولا رأى الا أيده برهان ، ولا فكرة الا دعمها شاهد ودليل .

أيها السـادة :

كلما وقفت بين الجامعيين عادت إلىّ ذكريات الجامعـة ، ذكريات أعز أسرة عاشرتها ، وأعز أسرة فارقتها ، ولعل فى هذه الوقفات ما يرفه عن نفسى ويشعرنى بأنى لم أفارق من أحببت ، ولم أبتعد عن المعهد الذى فيه نشأت .

وفى هذا الالتقاء بين طلبة الأمس ، وأنا أحدهم ، وبين خلفائهم ، وأنتم من خيارهم ، تتصل أسباب العلم بين السابقين واللاحقين ، وتظل الثقافة هى العروة الوثقى بين أولئـك وهؤلاء ، وأحبب إلىّ أن تظل هذه العروة وثيقـة لا يفصمها تقلب الأحداث ولا مر السنين .

ودلالة العلم اللفظية المعرفة على وجه الإطلاق ، إلا أنه طرأ على هذه الدلالة تغير وتحوير على مر الأزمان . . .

فحينا كان العلم هو الاحاطة بكل المعارف ، والأخذ من كل الفنون ــ من أشعار الى أخبار الى فلسفة ، الى فلك الى طب . . الى كل ما توصل اليه عقل الانسان .

وحينا كان العلم هو معرفة الدين والثقة فيه ، والاحاطة بأسراره ، والوقوف على أحكامه ، وأخيرا صار العلم مرادفا لكلمة Science ــ بالانجليزية ــ فأصبح يقصد به نوع خاص من

المعرفة يتوصل اليه العقل بطريقة خاصة تسمى الطريقة العلمية — ويمكن تلخيصها — فى أنها تبتدئ بجمع الحقائق ثم ترتيبها وتبويبها ، واستخراج العلاقة أو الارتباط بينها ، ثم النص على تلك العلاقة بقاعدة أو قانون ، ثم البحث فيما يؤدى اليه هذا القانون من النتائج ، والتحقق من صحة هذه النتائج بطريقة المشاهدة والاختبار .

وهكذا أصبح يراد بالعلم ما كان عماده الحقائق الثابتة ، والتجارب الصحيحة .

وتحت هذا ضمت فروع مختلفة كل منها قائم بنفسه ، بل و يسمى وحده علما كعلم الحياة وعلمى الطبيعة والكيمياء وعلم النفس وغير ذلك .

وسواء كان العلم معناه المعرفة المطلقة ، أو معناه الدين وأحكامه ، أو معناه العلوم التجريبية الحديثة ، فليس فيه على اعتباراتها ، إلا كل نفع وخدمة للمجتمع .

وسواء قصدنا بالعلم تعميما أو تخصيصا ، ففضله وأثره ، بل فقدره وخطره لا ينكران ... وصدق أبو الحسن البصرى حين قال فى كتابه (أدب الدنيا والدين) عن العلم بوجه التعميم : " هو أشرف ما رغب فيه الراغب ، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب ، وأنفع ما كسب واقتناه الكاسب ، لأن شرفه ينم على صاحبه ، وفضله ينمى عند طالبه — وكفى قوله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله جل شأنه ، (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ثم كفى أن الله لما أراد أن يلقن نبيه دعاء يدعو به ، لقنه أن يطلب المزيد من العلم ، وقال له "وقل رب زدنى علما". فلم نال العلم كل هذا التمجيد وكل هذا الترغيب من العلى الحكيم ومن رسوله الكريم إن لم يكن فيه نفع وخير للمجتمع ؟

فالعلم إذن موهبة الله للانسان منذ أن وجد الانسان ، ومنذ أن تكون المجتمع الانسانى ، وقد تدرج الانسان والعلم فى مدارج الرقى بنسبة واحدة . فلما كان عدد النوع الانسانى محدودا ، كان العلم كذلك محدودا ، ولما أخذ الانسان ينسل و يتكاثر ، نسل العلم وتكاثر ، وليس من الفلسفة العميقة أو الغامضة ، أن أقول إن فى عالم العلم تزاوجا وتوالدا وتوارثا ، كما فى العالم الآدمى ... أليست النظرية العلمية المستحدثة ابنة النظرية البدائية الجافة أو قريبتها... أليست عشرات اللغات التى تنطق بها أجناس الأمم المختلفة فروعا من أول لغة تخاطب بها الجنس البشرى ؟ . . أليست الهندسة البنائية الراقية وليدة المحاولات الساذجة الأولى ؟ . . أليست الكيمياء وليدة التجارب الأولية للانسان يوم سكن الأرض ؟

وفى الحالين : حال الفطرة ، وحال التطور والنمو ، كان العلم دائما فى خدمة المجتمع ، وكانت ثمرات هذه الخدمة تقل أو تكثر حسب قدرة المجتمع على استخدام العلم والانتفاع به — والحق أن العلم هو خادم المجتمع الأول ، بل خادمه الأوحد ، ذلك أن كل احتياجات المجتمع لا ييسرها إلا العلم ، وكل علل المجتمع لا يداويها إلا العلم .

فحاجات المجتمع الأولى هى الغذاء والماء والكساء ، وهذه يوفرها له العلم لاسواه .
وعلل المجتمع — كما لخصها الباحثون — هى المرض والفقر والجهل — وما يتفرع عنها من هبوط المستوى الخلقى وانحلال فى الروابط ، وهذه كلها لايداويها إلا العلم . فتطبيب الأجسام علم ، وتنظيم أمور المال والرزق علم ، وتفتيح العقول وتثقيفها علم ، والبناء وما يتفرع عنه علم ، والصناعة علم ، والزراعة علم ، والرسالات الدينية التى كانت أول ما استرشد به المجتمع الانسانى علم . بل هى أول العلم وأمثله وأ نمه .

وقد ربط الدين الاسلامى علم الدنيا بعلم الدين ، ففى الحديث الشريف " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم " .

وهكذا لا مجتمع بغير علم دينى ودنيوى معا ، وهكذا ظل الجنس البشرى يترقى من دور السذاجة ، أو من دور العلم الفطير الساذج الى آفاق أوسع وأنفع هيأتها له الأديان والرسالات السماوية ، ثم بدأ العقل الانسانى ينتفع بما أمامه من مرتبات طبيعية وحيوانية ونباتية وانسانية ، ويستنبط منها كل يوم ما يعود عليه بالنفع والفائدة ، حتى تفتحت دنيا العلم والاستكشافات ، وتتالت على العالم الاكتشافات والاختراعات ، فبدلت من شأنه وغيرت من معالمه .

ولكأنى بالقراء يرغبون — وأرغب معهم — أن نقصر الكلام عن العلم بمعناه الحديث — وهنا هل ينكر منكر أو يغفل غافل خدمة هذا العلم للمجتمع ؟

لا ، فان أثر العلوم ظاهر فى كل مرافق الحياة الاجتماعية ، ولست أحاول هنا أن أحصى لكم كل ما أداه العلم من الخدمات للمجتمع الحالى ، إذ ليس هناك ميدان من ميادين الحياة فى هذا المجتمع إلا وقد ظهرت فيه آثار هذه الخدمات واضحة جلية ، ولكنى سأكتفى بعرض سريع لما ندين به للعلم فى طائفة من أهم شئوننا وأبعدها أثرا فى حياتنا الاجتماعية .

سأبدأ بالزراعة ، واعذرونى إذا أطلت بعض الشيء ، فان الزراعة دعامة الحياة فى مصر ثم أن الحديث عن الزراعة محبب دائما الى نفسى ، ذلك لأننى مزارع قبل كل شيء ، ولأننى لم أ س بعد أننى كنت يوما وزيرا للزراعة .

ومع أن معرفة الانسان للزراعة ترجع الى ماقبل عصور التاريخ ، فقد ظلت آلافا من السنين مبنية على المشاهدات والتقليد ، وكان الزارع يكتفى بالقاء البذور وانتظار جنى المحصول قانعا بماتجود عليه الأرض والسماء . واذا كان المصريون القدماء والصينيون واليونان قدعرفوا بعض الأسمدة واستعملوها فى زراعتهم ؛ فلم يكن ذلك قائما على أى أساس علمى .

ويخبرنا التاريخ أن بلادا كثيرة من العالم كانت حتى عصرنا الحالى عرضة لحدوث المجاعات من وقت إلى آخر ، كما أن القرآن الكريم يروى لنا بالتفصيل حديث السبع السنوات

العجاف التى كادت تودى بسكان مصر جوعا فى عهد الفراعنة لو لا لطف الله ورحمته وحكمة يوسف عليه السلام .

وهذه المجاعات التى كانت تروع العالم من حين إلى آخر، قد اختفت الآن . فلم نعد نسمع بها إلا نادرا وفى نطاق محلى ضيق فى بعض البلاد المتأخرة . ولأسباب طارئة كحدوث فيضان أو جفاف موسم الأمطار ... هذا مع أن سكان العالم قد بلغوا الآن ما يقرب من الألفى مليون ، وهو عدد لم يسبق للعالم أن وسع مثله .

لا شك أن مرجع هذا إلى العلم ، وإلى آثاره فى زيادة الإنتاج الزراعى .

فقد أمكن بدراسة حالة التربة ونوعها ، والأحوال الجوية فى منطقة ما ، تحديد الحاصلات المختلفة التى تجود فيها .

كما أمكن تغيير بعض الخواص الرديئة للأرض حتى تصبح موافقة لمحصول معين . وقد أفادنا هذا فى استصلاح الأراضى البور .

وأمكن إنتاج أصناف ملائمة للبيئة التى يراد زراعتها فيها، وإنتاج المواد الكيماوية اللازمة لحماية المزروعات والمحاصيل من الأمراض والحشرات التى تفتك بها ، واستحداث الأنواع المختلفة من الأسمدة الكيماوية لتعويض ماتفقده الأرض من العناصر الضرورية وزيادة غلتها ، ومن هذه الأسمدة ما يستخرج من أزوت الهواء وهو كما تعلمون معين لا ينضب .

كذلك مكن تقدم فن الهندسة والميكانيكا من التحكم فى مياه الأنهار التى كانت تذهب سدى فى البحار والمحيطات، فأقيمت السدود لحجز الفائض منها لحين الحاجة إليه، والقناطر لرفع المياه وراءها حتى يمكن إيصالها إلى الأراضى المرتفعة .

وتستخدم الكهرباء الآن فى بعض أغراض الزراعة . ففى أوربا وأمريكا يستخدم بعض الزراع الآلات الكهربائية فى حلب الأبقار وصناعة الألبان . وفى السويد يدفنون التربة بعد أسلاك كهربائية تحت الأرض ، وفى الدانيمرك يضيئون حظائر الدجاج فى الصباح الباكر وفى المساء ، حتى تطول فترة النهار ويجد الدجاج مدة أطول للأكل والحركة، وبذلك يزيد مقدار البيض الذى يضعه فى الشتاء ، وهو الفصل الذى يقل فيه البيض عادة ويرتفع ثمنه . وتبلغ المزارع التى تستخدم الكهرباء فى أغراض الزراعة فى أمريكا الآن ١٠٪ من مجموع المزارع هناك .

هذا بعض مافعله العلم فى الزراعة ، أما فى الطب بقسميه العلاجى والوقائى فقد خطا العلم فى العهد الأخير خطوات واسعات فى هذا المضمار ، وبخاصة بعد أن عرفت الجراثيم وعلاقتها بالأمراض ، فاهتدى العلماء الى وسائل علاج كثير من الأمراض أو الوقاية منها فجهزوا الأمصال والعقاقير الطبية التى تقضى على جراثيم هذه الأمراض أو تكسب الجسم

مناعة ضدها ، ومن هذه أمراض طالما فتكت بالانسان من قبل فتكا ذريعا مثل الجدرى والتيفوس ، فقد كانت تظهر فى شكل وبائى يذهب بالسكان ويحيل ديارهم قاعا صفصفا .

كذلك أمكن باكتشاف أشعة " رنتجن " تصوير باطن الجسم وتبين موضع العلة فيه ومداها ، والأجسام الغريبة فيه وأشكالها ، مما ساعد كثيرا على تقدم فن الجراحة .

وكان اكتشاف المخدرات مثل الكلوروفورم ، من رحمة الله بعباده ، فقد زال بها الألم من العمليات الجراحية ، كما زالت عن المريض الصدمة التى قد تكون قاضية على حياته وأمكن اجراء العمليات الجراحية التى كانت تبدو من قبل مستحيلة لما تسبب من ألم فوق طاقة الاحتمال .

وأدى اكتشاف الراديوم بخواصه العجيبة الى امكان معالجة السرطان ، ذلك الداء الوبيل ، علاجا شافيا فى كثير من الحالات ، أو تخفيف ألم المريض فى باقى الحالات .

وأمكن نقل الدم من جسم الصحيح الى جسم المريض حقنا فى الأوردة وانقاذ حياة كثيرين لم يكن من المستطاع انقاذها بطريقة أخرى .

وقد اعتمد علم الطب فى مراحل تقدمه الباهر على علمى الطبيعة والكيمياء ، ومن مأثور قول أحد العلماء عن باستير العالم الفرنسى الشهير " ان باستير لا يشتغل بالطب ولكن يخلق الطب " .

هذه بعض آيات العلم ، وبعض آثاره فى الطب — وبعبارة أدق بعض أياديه على الإنسانية ، تلك الأيادى التى خففت من آلام البشر ، ودفعت عنهم الكثير من الأمراض والأوبئة .

ترى هل وقفت آثار العلم عند الطب أو الزراعة . ليس من شك فى أن الجواب هو — لا — فإن عصاه السحرية مست ما عداهما من شئون الحياة . فالمدينة الحديثة بشاهق مبانيها ، ونظام شوارعها ، وسعة ميادينها ، وكمال نظافتها ، وتوفر حاجات ساكنيها من مياه ونور ومجار وغير ذلك ، ليست سوى أثر من آثار العلم .

ولو أن أحد ساكنى المدن من قرن واحد فقط ، اطلع اليوم على ما تنتجه الكهرباء وحدها لسكان منزل من المنازل العصرية ، لأدهشه ما يرى ، ولخاله أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة . فإن الأمر لا يكلفه أكثر من لمس زر من الأزرار الكهربائية حتى يسطع النور فى أرجاء المنزل ، أو يعتدل الجو فلا حر ولا برد ، أو تسرى الحرارة فى المواقد المعدة لإنضاج الطعام ، أو ينبعث صوت الموسيقى والغناء من المذياع .

ولا شك أن توفر سبل المواصلات داخل المدن وبين بعضها البعض هو من أبرز مظاهر المدنية الحالية وأقوى العوامل على إقامتها على دعائم واحدة وأسس مشتركة. وهكذا انتشرت طرق المواصلات بين أنحاء العالم المختلفة. حتى أصبح العالم وحدة متصلة الأنحاء، متقاربة الأرجاء.

وكان اكتشاف البخار وما تلاه من انتشار السكك الحديدية فى البر والسفن البخارية فى البحر نقطة التحول من عالم مفكك الأجزاء. متباعد الأرجاء، الى عالم تدانت أنحاؤه على نأيها، وارتبطت شعوبه على بعد ما بينها.

وهناك غير السكك الحديدية والسفن البخارية، السيارات، وقد أمكن استخدامها بعد أن كشف العلم نظرية الاحتراق الداخلى، وأمكن صنع اطارات العجلات من المطاط وقد أدى استعمالها الى انشاء طرق تخترق البلاد طولا وعرضا.

وأخيرا يأتى دور المواصلات الجوية، وهو دور سيكون له بدون شك خطورته البالغة لا فى احداث ثورة فى وسائل المواصلات وحدها، بل فى مستقبل الانسانية كلها.

أنتقل الآن الى موضوع آخر له أوثق الصلة بكم، ذلكم هو سبيل اتصال الأفكار والآراء، هذا السبيل الذى نهض بالعلم نهضة تكشف عن كل مايدهش العقول ويخلب الألباب.

لم تكن سبل الاتصال الفكرى قبل عصرنا الحاضر، حتى فى أرق عصور المدنية، تعدو نقل بعض الرسائل بين البلاد المتجاورة بوساطة الرسل الخاصة أو الحمام الزاجل، أو بقرع الطبول أو تبادل الاشارات أو ايقاد النار فوق المرتفعات. أما الآن فهناك من وسائل الاتصال الفكرى البريد، والبرق، والمسرة، واللاسلكى، والتليفون، وذلك عدا الصحافة والسينما، ولكل من هذه آثار واضحة فى سبيل وحدة الأفكار وفيما آلت اليه مدنيتنا الحالية.

استعرضت بعض ما تم من مستحدثات العلوم فى أهم ميادين الحياة التى تتصل بالمجتمع وما أفاده المجتمع من هذه المستحدثات، ومدى تأثره بها، وعرفنا الى أى حد نجح العلم فى رفع المستوى الصحى للمجتمع، وزيادة الانتاج فى ميادين الزراعة والصناعة حتى وجد من المصانع ما يعدل إنتاج أحدها اليوم لنوع من الصناعة كل ما كانت تخرجه للناس مصانع العالم مجتمعة منذ قرن من الزمان .. وتوفير وسائل التهذيب ونشر الثقافة بين الأمم والأفراد، وتيسير سبل الاتصال بينهم، وزيادة رفاهيتهم وتقريب وجهات نظرهم، وإضعاف الشعور بالفردية فيهم .. وهناك غير ذلك من النواحى التى يؤدى فيها العلم رسالة للمجتمع الشىء الكثير.

فأمامنا علوم الحياة وما تعمل دائبة لتحسين النسل وتكثير النتاج، فتتضاعف ثروة المجتمع النباتية والحيوانية وتزداد.

وأما ١ علم النفس ، وتجاريبه وآرائه وقوانينه ، وكيف تطبق على الطفل لينشأ خير نشأة ، ويوجه أفضل وجهة ، وعلى العامل فيحتفظ بأعظم نشاط ليعطى أقصى إنتاج ، وعلى المريض فى كثير من الحالات ، فيبرأ ويصح بعد أن يستعصى على طب الأطباء .

وغير ذلك مما لا يحدده حد ، ولا يحصيه عد ، ولا يحصره بيان ! !

ولكن علام الجهد ، فى بحث أنتم عارفوه وذاكروه . . فليس فيكم من لا يعرف للعلم قدره ، أو لا يعرف له أثره ، وفيضه على المجتمع بكل خير وبركة ، ورقى ورفعة ، وإصلاح وإسعاد .

تلك نقطة من البحث لا انتهاء لها — فليس ثمة من يجهلها أو يغفلها .

ولكنى سأتحدث إلى حضراتكم الآن فيما يسميه بعض المفكرين المعاصرين "المجتمع العلمى" .

يرى هؤلاء المفكرون أنه لكى يفيد المجتمع أكبر فائدة من مزايا العلوم ومستحدثاتها يجب أن يستبدل بالنظم الحالية للمجتمع نظم أخرى تكون على أسس علمية محضة تشرف الحكومات على تنفيذها ، كما يرون أن اليوم الذى يتم فيه ذلك آت لا ريب فيه .

والمجتمع العلمى كما يرونه يستخدم أحسن ما فى العلوم من وسائل الانتاج والتغذية والدعاية والارشاد ، وهو يمتاز فى نظرهم عن المجتمعات الحالية التى نشأت نشأة طبيعية بأنه يخلق خلقا على أسس صالحة لإدراك أغراض معينة .

يقول هؤلاء المفكرون أنه كما أمكن أن نتوصل بالعلم الى خلق آلات حديثة وانتاج سلالات جديدة من النبات والحيوان ، كذلك يمكن خلق مجتمعات جديدة .

وفى العالم الأن دولتان تصلح كل منهما مثالا للمجتمع الذى خلق خلقا ولم يتطور تطورا طبيعيا . وهما اليابان وروسيا السوفيتية .

فاليابان الحديثة هى صورة مطابقة تماما لما أراده الذين قاموا بثورة سنة ١٨٦٧ ، ولو أن الغرض الذى قصد من هذا النظام كان بسيطا خاليا من التعقيد ، وكان من السهل الحصول على موافقة الشعب عليه وتحمسه له . وهذا الغرض يمكن تلخيصه فى جملة واحدة وهى : "إدخال الثقافة الغربية والصناعة الغربية إلى اليابان" .

وقد استعان قادة اليابان فى تنفيذ هذا النظام بالقداسة التى أسبغوها على امبراطورهم الميكادو . وباشراف الحكومة المطلق على تفاصيل النهضة الثقافية والتهذيبية وكانت النتيجة أن أصبحت اليابان فى مدة لا تزيد كثيرا على نصف قرن احدى الدول العظمى فى العالم وثالثة الدول البحرية .

أما روسيا السوفيتية فقد رمت الى تكوين مجتمع يختلف كثيرا عن أى مجتمع سابق ولا تزال هذه التجربة فى سبيلها بحيث لايمكن التنبؤ عن مدى نجاحها ، ولو أننا قد شاهدنا جميعا ماحققته تلك الأمة من أعمال باهرة فى الحرب الحالية .

وأهم عناصر هذا النظام هى : وضع جميع عوامل الإنتاج والتوزيع الهامة تحت رعاية الحكومة ، وتوجيه التربية العامة ووسائل الدعاية المختلفة بحيث تصبح من عوامل النجاح لهذه التجربة الرسمية ، واعداد مشروع لتعبئة جميع قوى الإنتاج فى الأمة ينفذ فى خمس سنوات ، وقيام كل ذلك على سلطة مركزية حكومية لامثيل لها فى أى نظام من نظم الحكم فى العالم .

ويقول هؤلاء المفكرون إن جميع الدول المحاربة تتبع وقت الحرب نظاما مشابها لهذا النظام ، فهى — فى سبيل ادراك غرض محدود وهو كسب الحرب — تعبىء قوى الأمة جميعا من رجال وموارد وتوجهها فى السبيل الذى رسمته لها ، والذى يكفل استخدام هذه الموارد على أحسن وجه . وانه ما دام هذا ممكنا وقت الحرب فلماذا لا يكون كذلك وقت السلم ، فتستعين الحكومة بكل ما توصل اليه العلم على استغلال جهود الأمة وموارد الدولة جميعا ، على خير الوجوه الممكنة . وذلك لادراك غرض معين هو رفاهية المجتمع وسعادة أفراده .

ويقولون إن الحكومات فى عصرنا الحاضر تملك من القدرة على توجيه نشاط الأمة الوجهة التى تريدها ما لم تكن تملك مثله حكومات العصور الغابرة ، كوسائل الدعاية للنظام الذى تفرضه وذلك عن طريق الصحافة والسينما والاذاعة اللاسلكية ، وبما تيسره لها السكك الحديدية والتلغراف من سرعة إيصال الأخبار وحشد القوات الحربية للقضاء على العناصر المتذمرة التى قد تحدثها النفس بقلب هذا النظام .

فنلاحظ أن قياس هذا النظام بالنظم التى تتبعها الدول وقت الحرب هو قياس مع الفارق . فان الحرب حالة طارئة لها ضروراتها القاهرة ،وهى مهما طال أمدها لا تلبث أن تنتهى وينتهى معها ما أرضته الأمم — إن طوعا وان كرها — من تقييد حرياتها والتحكم فى مواردها .

وهناك من المفكرين من يرمون الى أبعد من ذلك فهم لا يقنعون بالتنظيم العلمى للمجتمع فى كل دولة على حدة ، بل يتطلعون الى تنظيم عام للعالم جميعه ، يجعل منه وحدة اقتصادية واحدة ، لا تقف فى سبيلها حدود سياسية ولا حواجز جمركية .

وهم يقولون إنه لكى يؤتى التنظيم العلمى للمجتمع أحسن الثمرات ، يجب أن يكون على أوسع نطاق ، وأن يتناول المجتمع العالمى كله ، وان الفوضى الاجتماعية التى كانت سائدة قبل الحرب تدل على أن انتظام العالم فى سلك اقتصادى واحد ضرورى لرخائه ورفاهيته ،

وان مزاياه لن تقتصر على بعض الأمم دون غيرها من سائر الأمم ، ويضربون لذلك مثلا زيادة الانتاج قبل الحرب عن حاجة العالم بسبب تطبيق العلم على وسائل الانتاج . وان هذه الزيادة لم ترد بدورها الى زيادة مقابلة فى الثروة أو الرخاء ، ولكن الى نقص فيهما ، بسبب المنافسة بين المنتجين وما يترتب عليها من هبوط الأثمان ، مما حمل بعض الدول قبل الحرب على التخلص من جزء كبير من منتجاتها الزراعية أو حجزها عن السوق ، كما فعلت البرازيل باحراق آلاف أطنان من البن ، وكما فعلت الولايات المتحدة ومصر بحجزها عن السوق جانبا من محصول القطن فى بعض السنوات .

ويرون أن يقوم تنظيم الانتاج على تخصيص أماكن معينة لانتاج كل نوع على حدة ، وتحديد الكميات فلا تزيد على الحاجة ، وجعل المواد الخام تحت تصرف سلطة مركزية توزعها على من هم أقدر على صناعتها أو الافادة منها ، وحصر الموجود فى العالم من كل مادة ، والعمل على ايجاد ما يحل محلها قبل نفاذها أو قبل أن يصبح الموجود منها غير كاف لحاجات العالم .

كما يقترحون أن تشرف على هذا النظام العالمى سلطة مركزية يكون تحت تصرفها قوة حربية فعالة تملك وحدها أحدث وسائل الحرب وأبعدها أثرا ، وتمنع هذه السلطة الدعاية للقومية أو الوطنية وتستخدم كل مالديها من وسائل فعالة للدعاية العالمية ، ويكون غرض هذا النظام العالمى محدودا منذ البدء ، وهو توفير الرخاء والأمن والعمل لجميع أفراد المجتمع ، فلا فقر ولا خوف ولا تهديد بالبطالة .

هذه نظرية جديدة لبعض العلماء والمفكرين سردتها عليكم على علاتها ، فهى قابلة للمناقشة فى كثير من أسسها وتفاصيلها ، ولكننا رأينا عرضها لنبين الى أى حد بلغ تفكير بعض العلماء والمفكرين فى تسخير العلم لا لخدمة المجتمع المحلى فحسب ، بل لخدمة المجتمع العالمى كله .

عرفنا أن المجتمع فى عصرنا الحالى يعتمد على العلوم النظرية والتطبيقية فى استمرار تقدمه ورخائه ، وأن الأسس التى يقوم عليها المجتمع قد أخذت تتحول تحولا حثيثا الى أسس علمية ، وأصبح القائمون على الحكم تواجههم كل يوم مشكلات تعتمد فى حلها على العلم وحده وحتى لقد قال الانجليز : "All modern life is built upon the practical success of Science"

من هذا يتبين لنا الدور الجديد الذى ينتظر العلماء فى عصرنا الحالى ، والذى ستزداد أهميته فى المستقبل . فلم يعد من الممكن فى عصر علمى قيام حكم منتج لا يشد أزره طائفة من العلماء والخبراء الممتازين .

على أن العلماء كانوا دائماً ، وبخاصة بعد الحرب العظمى الماضية ، عونا للحكومات فى كثير من شئون الحكم ، فقد جرت الحكومات على تأليف اللجان الفنية لبحث المهم من تلك الشئون ، وعلى عقد المؤتمرات الدولية لبحث المشترك بينها من الأمور الهامة ، ولقد قدمت لجان الخبراء فى عصبة الامم أجل الخدمات للعالم من أن مهمتها كانت مهمة استشارية .

ولكن يجب أن يحذر العلماء من الاندفاع وراء نظرياتهم العلمية وحدها ، والرغبة فى تطبيقها فى أوسع مدى ، متناسين كل ما يربط الناس بماضيهم ومناهم السابقة ، من أفكار وتقاليد . ولينظروا قبل أن يقضوا على شىء من هذه الأشياء إلى قيمة ذلك الشىء الأدبية والروحية ، وأثره فى السعادة الحقيقية للناس ، فالانسان قد عاش دهرا طويلا عبدا للطبيعة ولا يمكن أن يتغير شأنه بين عشية وضحاها .

يطيب لى — فى هذه المناسبة — أن أثبت أن (العلم فى خدمة المجتمع) من نقطة أخرى . ولوجهة أخرى .

فهذا العلم — وقد قلنا إنه يحتم لدراسته طريقة خاصة هى الطريقة العلمية ، وأسلوب خاص هو أسلوب البحث العلمى ... وشرحنا بجلاء ماهية هذه الطريقة ونتيجة هذا الأسلوب فى طلاب العلم ودارسيه. وهذا هو دعامة الإثبات الذى نريده ونعنيه... ماذا يكتسب طالب العلم ، وأى أسلوب ينطبع عليه دارسه ؟

يكتسب دربة على البحث المنسق المرتب المنظم . ومرونة على استنباط النتائج من المقدمات . وباستخلاص الحقائق من المشاهدات . وقدرة على معالجة ما يقابله من مشاكل . وما يعترضه من معضلات . بحلول مختلفة وأحابيل مواتية ...

أسلوبه فى كل ذلك الأمانة والصدق ، والصراحة والحق ، والجد والمثابرة ، فى صبر وعزم ، ويقين وحزم ، واصرار وعناد ، وثقة واعتداد . يهب نفسه متبتلا خالصا ، ويصل ليله بنهاره باحثا فاحصا . لا يمل ولا يكل ، ولا يستقر ولا يستكن ، ولا يهدأ ولا يهنأ ، حتى يصل الى الغرض المقصود ، ويحقق الأمل المنشود ، ان كان لغرضه نهاية ، أو لأمله حدودا .

وهل يحتاج مجتمعنا لعلاجه من مشكلاته وأمراضه ومعضلاته ، هل يحتاج الا لمن توافرت فيه هاتيك الصفات ؟ واستقرت فى نفسه وتأصلت فى طبعه هاتيك الطباع وتلك العادات ؟ هل يخدم خدمة حقة صادقة ، الا من صقله العلم بأسلوبه ، وطبعه بطابعه ، فنهج فى درسه وبحثه ، وتشخيصه وعلاجه ، نهجا علميا صادقا ، خالصا من كل تمويه وتزييف ؟

حقا إنه لن يكون فى غير العلم بأسلوبه وطريقته خدمة من مجتمع وعلاج !

وحتى فى الحرب ، كان العلم دائما خادم المجتمع الأمين ، ورغم ما تصبه آلات التدمير على الانسان من حمم وما تسببه للانسانية من كوارث ، فقد أمكن للعلم وحده تخفيف ما تحدثه تلك الآلات من آثار ، كما أمكنه مقاومة الاختراعات الحربية الحديثة .

فمنذ أن اخترعت الغازات السامة والغازات المحرقة وجدت سبل الوقاية منها ، ومنذ أن استعملت الطائرات فى الاغارة على المدن والحصون والبواخر، اخترعت آلات الاستقبال التى يمكن بواسطتها تعيين مكان هذه الطائرات وهى على أبعاد شاسعة ، كما اخترعت الأنوار الكاشفة والمدافع المضادة وغير ذلك من وسائل الدفاع ضد الغارات .

واذا كان العلم قد جهز الجندى بأقوى الأسلحة وأشدها فتكا ، فقد زوده أيضا بغذاء صحى يقيم به أوده ، إذا ما نأى عن مراكز التموين ، وأظنكم قد سمعتم بالفيتامينات التى يحملها الجنود فى شكل أقراص صغيرة ، كما سمعتم أن العلم تمكن من تحويل البيض إلى مسحوق يستعمله الجنود كغذاء كامل شهى الطعم .

كذلك أنقذ العلم عن طريق الطب الحديث حياة آلاف من الجنود الذين أصيبوا فى ميدان القتال أو خفف آلامهم .

وإذا ما انتهت الحرب الحالية فان آمال الانسانية — التى أثخنتها الحرب بجراحها — معقودة على العلم وحده ، فهو الذى سيأسو جراحها ويعمر ما تهدم من مدنها ويستبدل بالنظم الاجتماعية المنهارة نظما أخرى لعلها أجدى على الانسانية وأكثر نفعا .

أخشى أن يجيئنا بعد ذلك مكابر، يتحدث بما يعترى العالم الآن من خراب ودمار وخطوب جسام ، فيحمّل العلم وزره ، وينكر عليه تبعا لذلك فضله وقدره . ولو أنصف المتجنى وعلل وسبب، لوجد العلم بريئا من تبعة الحرب وفظائعها، وأدان فى الأولى السياسة وختلها وطمعها ، وفى الثانية سوء الاستعمال وفظاعة التطبيق .

فما ذنب العلم وما وزره ، فيمن ركبوا رءوسهم وألغوا عقولهم واستبدلوا بنعيمه جحيما ، وبخيره شرا ، وبنوره نارا ؟

لا . لا . . أيها المنكرون المكابرون — لا مكابرة ولا انكار . فالعلم فى خدمة المجتمع قولة حق ، فقولوها بكل صراحة وجلاء .

أيها الاخوان :

ما رأيكم فى انى أتوق لأن اعتبر كل الذى قلته الى الآن خارجا عن الموضوع أو ياالله فى تعبي وتعبكم . . أجل . فانا أرجح الا يكون قصد اتحادكم العلمى من — العلم فى خدمة المجتمع — عنوانا لمحاضرة أبين لكم فيها مدى ما خدم العلم به المجتمع — كذلك ما أنتم

أدرى الناس به وأعلم . . إنما أرجح أن يكون قصده أنبل من ذلك وأعظم ، ولئن قدر لترجيحى الا أن يكون حقا — فما أشك فى استعدادكم جميعا لتأييده روحا وقلبا ، فما ترجيحى الا لمعنى كريم هو أكبر مما ذكرت وأخطر ، بل هو اليق بكم وأجدر .

— العلم فى خدمة المجتمع — هل أفسره وأنا القائم على شئون المجتمع المصرى ، المتصيد المنقب له عن خدام . . . هل أفسره وآخذه الا على أنه غرض كريم من شباب كريم ؟ بل عهد وثيق ، وبيعة صادقة تبايعوننى اياها ؟ ان ستدلوا بدلوكم ، وتقوموا بدوركم ، وتكونوا بعلمكم — فى خدمة المجتمع المصرى — تبنونه بناء علميا ، وتخلقون خلقا صناعيا ، فتضاعفون دخله ، وتحفظون ثروته ، وتحسنون حاله ، وترقون معيشته ، وتشيدون مجده وتعيدون عظمته تلك التى أقامها آباؤكم الأولون بعلمهم فبقيت الى اليوم خالدة باهرة .

رسالتكم للمجتمع عظيمة مجيدة ، ومهمتكم فيه جسيمة كبيرة ، ليس أجسم منها وأكبر . . إلا ما يضمه فيكم من ثقة ، وما يعلقه عليكم من أمل ورجاء .

فهل تحققون ثقته ، وتكونون عند هذا الأمل وهذا الرجاء ؟ أنا لا أشك فى ذلك . . كما لا أشك فى أنكم موافقون الآن على اعتبار قولتكم : — العلم فى خدمة المجتمع — بيعة منكم ، وعهد وميثاق بينكم وبينى ، كوزير لشئون المجتمع . . فما أسعدنى بهذه البيعة ، وما أهنأ المجتمع بهذا العهد وذلك الميثاق .

لستم فى حاجة إلى اهابة بكم ، أو إثارة لعزمكم أو إذكاء لحماسكم ، ولستم فى حاجة إلى تبيان ما يعانيه مجتمعكم المصرى من فقر ضارب ، وجهل لازب ، ومرض غالب ، تشل ثلاثتها نهضته وتعوق قومته ، وتبطئ حركته . . فهو يكبو ، بينما غيره قام وانتصب ، ومشى بل جرى فى حلبة الحياة ينتزع فى العلا مكانته بنصب وجهاد وبذل وفداء . . وعلم وعمل .

لم يك مجتمعكم أيام آبائكم الأولين عليلا ولا هزيلا ، كما لم يك متأخرا ولا متخلفا . . بل كان السباق وحده يشرق علما ويشع نورا ، ويضئ حضارة وينبض مجدا ، بينما كان غيره فى سبات الجهل وغياهب ظلامه ينام نوما ، ويغط غطا . فمتى تصلون الماضى بالحاضر ؟

متى ترجعون لمجتمعكم ومصركم ، عزها التليد ومجدها العريض ؟

متى تبوئونهما مكانهما تحت الشمس كما كانا ؟ متى تحلونهما محلهما الأول ؟ من الزعامة والقيادة والصدارة ؟

كل هذا سيحقق قريبا إن شاء الله ، بفضل علمكم وعزمكم ، وبقوة إيمانكم وجهادكم ولكم فى علماء أوروبا وأمريكا القدوة والمثل . لكم فى باستير وأديسون وماركونى وأضرابهم ممن أفاضوا على مجتمعاتهم ما أفاضوا وأشادوا فيها ما أشادوا بعقولهم النيرة ، وعلومهم الزاهرة ، وأعمالهم الباهرة ، من بحوث وكشوف ، وابتكار واختراع ، مما يصل لمجتمعاتهم الرخاء والدواء ، وحقق لها المجد والارتقاء .

ولستم ياشباب النيل ، أقل منهم عزاء أو ذكاء أو استعدادا . . كم أنتم إلا أبناء من لقنوهم وعلموهم وهدوهم . فعلى بركة الله سيروا ، وانقين مؤمنين بانين مشيدين امامكم ميدان الصناعة خال مقفر . . اعمروه وأغمروه ، ومعدل إنتاج وكسب ضئيل هزيل . ضاعفوه وقووه . . وأسلوب حياة قديم عتيق . . رقوه ومدينوه . ومستوى معينه منخفض وأليم . . ارفعوه وحسنوه . . بما تبتكرون وتكشفون وتخترعون، تقدموا ياشباب العلم واحملوا العبء وأدوا الرسالة ، مفعمة نفوسكم بالأمل ، عامرة قلوبكم بالايمان . . تقدموا واعملوا جادين مثابرين . . لاتهدأون ولا تهنأون ، حتى يتيسر للمجتمع رخاء وثراء ، وحققوا له العز والكرامة بما جبلتم عليه من وفاء ، تسطرون لأنفسكم بين أئمة العلم والاختراع صفحة مجد وخلود وثناء .

شباب الجامعة . . أرجو أن تكون كلمتى أثرها فى نفوسكم الطاهرة وأن تقدروها حق قدرها ... وأرجو أن تعلموا ان الفضل فيما أفاء الله على المجتمع من تعلم العلم وبركته إنما يرجع الى طائفة من العلماء وهبوا للعلم أنفسهم ، ولم يضنوا عليه بتضحية ، مهما قلت ، فكانوا كالمصابيح اللامعة تسير الانسانية على هدى ضوئها ، وأنتم عدة مصر فى مستقبلها ومناط آمالها

بمثل هؤلاء فاقتدوا ، ولآثارهم فاتبعوا ، فأنتم خلفاؤهم ، ولمثل هذا أنشئت جامعتكم واحاطتها الأمة والحكومة منذ نشأتها بكل رعاية ، وعقدت عليها الآمال .

أن وطنكم فى أشد حاجة الى خدماتكم ، ومجال العمل متسع أمامكم ، وأن المجتمع المصرى الذى يشكوا كثيرا من العلل ، ليرتقب منكم أن تكونوا أساته الشافين ، وقادته المصلحين ، وأنتم لاشك خليقون بتحقيق مايعقد عليكم من أمل ، اذا وهبتم للعلم أنفسكم ووقفتم عليه جهودكم ؛ وتخلقتم بكل مايحب الله أن يتخلق به رجال العلم من جد ومثابرة ويقظة وخلق كريم .

أيها الاخوان . العلم فى خدمة المجتمع حقيقة ناطقة ، بيعة صادقة ، وعهد وميثاق ، فاجعلوا الحقيقة هدفكم فاذكروا دائما بيعتكم ، وأوفوا بالعهد ؛ ولا تنقضوا الميثاق .

سدد الله خطاكم ، وأيدكم وقواكم ؛ فى ظل حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم ؛ راعى العلم وحماه . فاروق الاول حفظه الله وأبقاه

فؤاد سراج الدين